النخاسون اليهود في العصر العباسي الأول
﴿132 - 232 هـ / 750 - 847 م﴾

إعداد

أ. أحمد الناقة

باحث ماجستير في الآداب

قسم التاريخ بنظام الساعات المعتمدة

أ.د. إبراهيم محمد مرجونة

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب سابقا

كلية الآداب – جامعة دمنهور

د. ناصر محمد كحيل

مدرس التاريخ و الحضارة الإسلامية

كلية التربية – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الثالث و الستون - يوليه -الجزء الثانى - لسنة 2024

النخاسون اليهود في العصر العباسي الأول
(132 – 232 هـ / 750 – 847 م)

أ. أحمد الناقة

أ.د. إبراهيم محمد مرجونة

د. ناصر محمد كحيل

الملخص

الملخص: تناول الباحث فى هذه الدراسة النخاسون اليهود فى العصر العباسي الأول.

وقد حاول الباحث التعرض لهذا الموضوع دون تحيز أو تعصب, معتمداً على المصادر الأصلية والتي كانت قريبة من فترة الدراسة, معتمداً على المنهج التاريخي القائم على السرد والنقد والوصف والتحليل للروايات التاريخية.

وقد شمل هذا البحث محورين رئيسيين على النحو التالي:

أولاً: صفات النخاس ونظرة المجتمع العباسي له: وقد تناول فيه الباحث الحديث عن أهم الصفات التي يجب توافرها فيمن أراد امتهان النخاسة, وكذلك مكانته الاجتماعية فى الأوساط العباسية المختلفة.

ثانياً: النخاسون اليهود: وقد تناول فيه الباحث الحديث عن مادتهم التجارية ودورهم الوسيط بين المسلمين وغيرهم, ورحلاتهم التجارية بين الشرق والغرب.

Abstract

Jewish slavers in the first Abbasid era

(132-232 AH/750-847 AD)

Abstract: In this study, the researcher dealt with Jewish slavers in the first Abbasid era.

The researcher tried to address this topic without bias or fanaticism, relying on the original sources that were close to the period of study, relying on the historical method based on narration, criticism, description, and analysis of historical novels.

This research included two main axes as follows:

First: The characteristics of the slave laborer and the view of the Abbasid society towards him: In it, the researcher discussed the most important qualities that must be possessed by someone who wants to engage in the profession of slave labor, as well as his social status in the various Abbasid circles.

Second: Jewish slavers: The researcher talked about their trade, their mediating role between Muslims and others, and their trade trips between the East and the West.

المقدمـــة

الحمد لله الواحد الأحد, الفرد الصمد, الذي لم يلد ولم يولد, ولم يكن له كفواً أحد, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا محمداً عبده وسوله, النبي المصطفى والرسول المجتبى, سيد الأولين والآخرين, اللهم صل وسلم عليه وآله الشرفاء وصحبه النجباء, ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالنخاسة تسمية أطلقت على تجّار الرقيق، ومهنة من أصعب المهن التي يحتاج صاحبها إلى تكوين معين, وإلى صفات تجعله صالحاً لممارستها, وفى العصر العباسي الأول أصبحت النخاسة مصدراً هاماً من مصادر الرقيق, فقد استطاع النخاسون أن يجوبوا شتى البلدان, وأن يُزَودا الأسواق الإسلامية بما تحتاجه من مادة الرقيق, ويعتبر النخاسون اليهود هم أشهر النخاسين الذين نافسوا التجار المسلمين فى عملية توريد الرقيق, وسهّل عليهم ذلك معرفتهم باللغات المختلفة كالعربية والفارسية والرومية والصقلبية, ونشاطهم فى عمليات الصرف وتغيير العملات, وقد اكتسب هؤلاء التجار خبرتهم عن طريق الممارسة, فقد كانوا عبارة عن مجموعات انتشرت في شتى المدن التجارية في أوروبا, باحثين عن شتى أصناف الرقيق, من أجل توريده إلى الأراضي الإسلامية وتحقيق الربح الوفير.

أهمية الدراسة:

التعرف على نشاط النخاسين اليهود فى توريد الرقيق إلى البلاد الإسلامية ودورهم الوسيط بين بين بلاد الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي, وكيف استطاع هؤلاء النخاسون اليهود أن يكونوا مزودين حقيقيين للبلاد الإسلامية بمادة الرقيق.

أسباب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيار الموضوع إلى حاجة المكتبات العربية إلى مثل هذه الموضوعات المهمة فى التاريخ الإسلامي, إذ يكفى للدليل على أهمية هذا الموضوع أنه يسلط الضوء على فئة من النخاسيين استطاعوا أن يكون لهم دوراً أساسياً فى تزويد الأسواق الإسلامية بما تحتاجه من مادة الرقيق.

النخاسون اليهود في العصر العباسي الأول

(132 – 232 هـ / 750 – 847 م)

أولا: صفات النخاس ونظرة المجتمع العباسي له.

1. صفات النخاس:

النخاس تسمية أطلقها الناس على تاجر الرقيق، وسميت تجارته بالنخاسة على وزن فعالة الذى يستعمل للدلالة على الحرف والمهن المختلفة ، والأصل في النخاسة على حسب ما جاء في لسان العرب: تجارة الدواب, فيقال لتاجر الدواب نخاساً، ثم شملت هذه التسمية تاجر الرقيق فقيل له أيضا نخاساً [1], ويتضح لنا من ذلك أن هذا التطور في مدلول الكلمة يرجع إلي أوجه الشبه الموجودة بين هذين النوعين من التجارة.

وتعتبر مهنة النخاسة من أصعب المهن, فمن أراد امتهان النخاسة فإنه يحتاج إلى معرفة كاملة بأسرار هذه المهنة، وإلي كثير من التجارب في ممارستها، بل وربما إلي اختصاص في العديد من العلوم والمعارف التي تجعله يصلح لامتهان النخاسة, وهى معارف نشأت عبر العصور الزمنية المختلفة, متكونة من مجموعة من التجارب, والتقاليد, والعادات؛ فمن هذه المعارف مثلا: ضرورة معرفة النخاس معرفة تامة بالعلل والأمراض التي تصاب بها بضاعته حتى يتمكن من الاحتياط لها، وحتى يستطيع أن يميز بين الجيد منها والرديء[2].

كما يحتاج النخاس أن يكون له معرفة بالأجناس البشرية المختلفة، قادراً على التمييز بينها وما يرغب فيه الناس منها، وعليه أيضا أن يعرف خصائص الرقيق المهنية, وكذلك مستواه في الصناعات أو الحرف أو الأعمال التي يقومون بها حتى يتمكن النخاس من ضبط ثمنه, وكذلك تحديد قيمته السوقية[1].

وهكذا يتضح لنا أن مهنة النخاسة يشترط فيها تكوين معين لأنها صعبة الممارسة، فيحتاج صاحبها إلي المعارف الطبية، وإلى الأخذ بعلم آخر كان له رواج في ذلك العصر وهو علم الفراسة ذلك العلم الذى يستدل به علي أحوال الرقيق النفسية، وكذلك يستعان به

---

(١)ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة) (ت: 711هـ/ 1311م): ***لسان العرب***, تحقيق: عبد الله بن الكبير, محمد أحمد حسن, دار المعارف, القاهرة, 2007م, ص4402.

(٢)ابن الاخوة (محمد بن محمد بن احمد القرشي) (ت:729هـ/1329م): ***معالم القربة في أحكام الحسبة***، تحقيق: محمد محمود شعبان ، صديق احمد عيسي ، الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة , 1967م، ص238.

[1] توفيق بن عامر: ***الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة***, ج1, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, تونس, 1996م, ص491.

على معرفة جنسه، وكذلك علم القيافة الذى يستخدم للتعرف على العلاقات النسبية بين الرقيق[2].

ولقد اهتمت الخلافة العباسية بالنخاسة من حيث كونها احدى التجارات الرائجة في ذلك العصر فوضع المحتسبون شروطاً وصفاتاً يجب توافرها فيمن أراد امتهان النخاسة, من هذه الشروط والصفات: أنه ينبغي ألا يتصرف في تجارة العبيد والجواري إلا من ثبتت عند الناس أمانته وعفته وصيانته وحفظه للأعراض، وأن يكون مشهورا بالعدالة لأنه يتعامل في جواري الناس وغلمانهم ، وربما يختلى بهم في منزله ، وينبغي ألا يبيع لأحد جارية أو غلام حتى يعرف البائع معرفة تامة أو يأتي بمن يعرفه، وعليه أن يثبت في دفتره اسم البائع وصفته لئلا يكون المبيع حرا أو مسروقا، ولا يجوز أن يبيع جارية أو مملوكا إذا كانا مسلمين لأحد من أهل الذمة إلا أن يتبين أن المملوك ليس بمسلم[3].

ومنها: أنه من أراد بيع جاريه فانه لا يبيعها إلا من دمها أي: في أيام حيضها، وتنظر امرأة موثوق في دينها، وتتأمله، لئلا يكون دماً فاسداً، ولا يبيع صبيا صغيرا أو صبية من الجلب على أهل الذمة، لئلا يهودانه أو ينصرانه، وإذا كانت جارية نصرانية فصيحه ومعها أولادها، فإن أولادها لاحقين بها، ولا يفرق بين جاريه وأولادها، ومن أراد شراء جارية جاز له أن ينظر إلى وجهها، وكفيها، فإن طلب أن يستعرضها في بيته، وأن يخلو بها، فيجب على النخاس ألا يمكنه من ذلك، إلا ان يكون عنده نساء في منزله، ومن أراد شراء غلام ، فله أن ينظر منه ما فوق السرة ، وما دون الركبة وذلك قبل البيع، أما بعد البيع فله أن ينظر إلى جميع بدن الجارية[1].

ومنها: أنه ينبغي أن يكون النخاس بصيرا بالعيوب، خبيرا بابتداء العلل والأمراض التي تصاب بها بضاعته، فإذا أراد بيع غلام فيجب عليه أن ينظر إلى جميع جسده قبل بيعه

---

[2] توفيق بن عامر: ***الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة***, ج1, ص491.

[3] ابن الأخوة: ***معالم القربة في أحكام الحسبة***، ص 238.

[1] ابن بسام المحتسب (محمد بن احمد بن بسام المحتسب) (ت: 626هـ/ 1229م): ***نهاية الرتبة في طلب الحسبة***، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1968م، ص149.

[2] الشيزري (عبد الرحمن بن نصر الشيرزى) (ت: 590هـ/ 1194م): ***نهاية الرتبة فى طلب الحسبة***, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, 1946م.

لئلا يكون به علة أو مرض فيخبر به المشترى فإن كان مائل اللون إلى الصفرة أو الغبرة فإن ذلك يدل على مرض في الكبد أو الطحال أو البواسير[2].

2. نظرة المجتمع العباسي للنخاس.

ولقد اشتهر النخاس في الأوساط الإسلامية المختلفة في العصر العباسي الأول بسمعة معينة، فكان دائما فى موضع تشنيع واحتقار وازدراء كتاجر الحبل[3]، كما كان المجتمع العباسي ينظر إلى النخاس نظرة مختلفة, حيث أنه كان دائما في موضع شك وتهمة بين الناس، وذلك رغم الحاجة الكبيرة إلى خدماته، وأيضا رغم المكانة التي يحتلها في المجال التجاري.

وصارت كلمة " نخاس" تستعمل بمثابة أحد الفاظ الشتم، فقد روى أن محمد بن الأشعث صاحب شرطة مصر شتم من على المنبر أحد القواد قائلا: " النخاس الكذاب "[4]، ويعتبر الجاحظ أن النخاسين من شرار خلق الله، مرجعا ذلك إلى طبيعة المهنة فيقول: " وكما أن أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كل بلد من كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك أن ذلك خلقة في هذه الصناعات, وبلية في هذه التجارات حتى صاروا من جميع الناس كذلك "[1].

ومن أسباب استقرار هذه النظرة عند المجتمع العباسي: ما عرف به النخاسون من انتهاك لحرمة الأخلاق والتعاليم الدينية، واستعمالهم شتى وسائل الغش والخداع في سبيل جمع المال وتحقيق الربح الوفير.

يقول السقطي " فأما هؤلاء فقوم خطبهم جليل وأمرهم ليس بالمختصر ولا القليل وذلك أنهم يتصرفون بين الأنساب والأموال ويأتي مفسدوهم بما لا يقتضى الشرع ولا تقره نفس مؤمن ولا ترتضيه بحال ولهم في شأنهم خدع ومكر يعاملون الناس بها ويداخلونهم بحسبها "[2]، فالرأي العام يوجه إليهم اتهامين أساسيين على الاقل, أولهما: التحيل في ممارسة

---

[3] آدم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*** , ج1, ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده , دار الكتاب العربي , بيروت , لبنان , ط 2 , 1947م, ص302.

[4] آدم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*** , ج1, ص302.

[1] الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) (ت: 255هـ /869 م): ***مناقب الترك*** ،رسائل الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ،ج1، مكتبة الخانجى ، القاهرة، 1964م، ص52.

[2] السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد السقطي المالقي الأندلسي)(ت: 550هـ/1155م): ***آداب الحسبة***, تحقيق: ليفي بروفنسال , كولان, مطبعة إرنست لورو, باريس, 1931م, ص47-50.

تجارة الرقيق مما يدر عليهم المزيد من الأموال ، حتى أن رجال الدين كانوا ينظرون إلى أرباحهم وأموالهم باحتراز كبير بل إن العامة أنفسهم كانوا يستقبحون هذه الأموال, ويعتبرونها من باب الكسب الحرام.

ولعل هذه النظرة لم تكن خاصة بالمسلمين فقط, ولا مقصورة على هذا العصر الذى نحن بصدد دراسته بل هي نظره نجدها حتى عند رجال الكنيسة منذ القدم، وقد حدثنا البكري عن كنيسة قائمة في عصره على الطريق القائمة بين مصر وبرقة يقال لها " أباميني ", وقد رسم على جدرانها صورة لتاجر الرقيق ورقيقه معه, وبيده خريطة مفتوحة لأسفل وهى تعنى أن تاجر الرقيق لا ربح له[3] ولهذه الصورة دلالة رمزية وهى لا تعنى أن خسارة النخاس تكون في ميدان التجارة, وإنما تدل على أن مكاسبه تذهب سُدى لأنها من باب الكسب غير المشروع؛ وأما الاتهام الثاني الذى يوجه إلى النخاسين فى ذلك العصر: هو فساد أخلاقهم بمخالطتهم للرقيق المؤنث وللغلمان مما يجعلهم دائما محل شبه أخلاقية عديدة كالزنا والفاحشة, أو التوسط للغير في ممارسة العديد من الافعال الخبيثة التي تخل بالشرف كممارسة البغاء السري، كما كانوا يتواطؤون مع " الامينة " بالأسواق على تجاوز حدود الشرع وافتعال بعض الامور الغير أخلاقية والمنهى عنها في الدين الإسلامي[1].

لكن هؤلاء النخاسين الذين كانوا دائما في محل انتقاد من حيث السلوك, وربما في محل احتقار من أجل تهافتهم على الربح الوفير متوخين في ذلك انتهاك القيم, والأخلاق كانوا محسودين من حيث غناهم, وثرواتهم الهائلة[2], بل الغريب أن هؤلاء النخاسين كانوا في موضع تزلف من بعض الناس بسبب هذه الثروة.

وقد يجتمع لدى النخاس المال, والجاه فترتفع قيمته الاجتماعية بين الناس, وذلك بحكم ارتفاع قيمة البضاعة الموجودة بين يدية, فمن المعروف عند الناس أن قيمة التاجر مرتبطة بقيمة البضاعة التي يتاجر فيها, وثانيا بحكم تعامله مع الطبقة العليا من الأمراء والوجهاء ,ونعنى بقيمة النخاس هنا منزلته في المجتمع العباسي وانتماءه إلى فئة محظوظة من فئات المجتمع العباسي.

---

[3] البكري(ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بكري) (ت:487هـ/ 1094م .): ***المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب***، مكتبة المثنى ، بغداد، 1968م, ،ص3.

[1] توفيق بن عامر: ***الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة***, ج1, ص495.

[2] برنشفيك: ***دائرة المعارف الاسلامية، مقال عبد***, ج23, مركز الشارقة للإبداع الفكري, الشارقة، , 1998م، ص7101.

ومما لا شك فيه أن كثيرا من النخاسين قد عاشوا في نعيم وترف, وتمكنوا أن يخالطوا عِلْيَة القوم بحكم مهنتهم, وهى مهنة كبار التجار, فكان الكثير من النخاسين على صلة وطيدة بالبلاط العباسي, وعلى معرفة بشيء غير قليل من أسراره إما بصورة مباشرة, أو عن طريق التعامل مع غلمانه وجواريه, ومن كان على هذا الحال فإنه يستطيع أن يحقق أية رغبة من رغباته ما دام بيده المال الكثير, والجاه العريض وكان محط أنظار, وآمال جميع من حوله, ومحسودا أيضا في نظر العوام, ومن كان منهم مالكا لحسان القيان ورائعات الجواري فإنه يصبح من المرغوبين الذين يتمنى الناس مخالطتهم, والاتصال بهم لما في حوزتهم من بضاعة جميلة مغرية, وقد ساهمت كل هذه الاعتبارات أن تجعل مهنة النخاس من أهم المهن في المدن الإسلامية خلال العصر العباسي الأول.

وقد وصف لنا الجاحظ هذه المنزلة التي يتمتع بها النخاس "المقين" أي بائع القيان ومربيهن في الوسط الاجتماعي الذى يعيش فيه, فبين لنا حرص العام والخاص على التواصل معه وزيارته ومجاملته عند الحاجة, وتملقه إذا استدعى الأمر بالهدايا, والتحايا مما يجعل للنخاس كثيرا من الدالة على معاشريه, ومما يسمو به إلى مقام عالي في نظرهم, وقد شبه الجاحظ هذا النوع من النخاسين بالخليفة لأنه محل تقدير يقول في ذلك[1]:

" ومن فضائل مالك القيان أن الناس يقصدونه في رحله بالرغبة كما يقصد الخلفاء والعظماء. فيزار ولا يكلف الزيارة ويوصل ولا يحمل على الصلة ويهدى له ولا تقتضى منه الهدية وتبيت العيون ساهرة والعيون ساجمة والقلوب واجفة والأكباد متصدعة والأماني واقفة على ما يحويه ملكه وتضمه يده مما ليس في جميع ما يباع ويشترى ويستفاد ويقتنى بعد العقد النفيسة. فمن يبلغ من الثمن ما بلغته حبشية جارية عون مائة الف دينار وعشرون الف دينار؟... ويرسلون إلى بيت مالكها الهدايا من الأطعمة والأشربة , فإذا جاؤوا حصلوا على النظر وانصرفوا بالحسرة ويجتنى مولاها ثمرة ما غرسوا ويتلمى به دونهم ويكفى مؤونة جواريه, فالذي يقاسيه الناس من عيلة العيال ويفكرون فيه من كثرة عددهم وعظيم مؤونتهم وصعوبة خدمتهم هو بمعزل عنه لا يهتم بغلاء الدقيق ولا عوز السويق ولا عزة الزيت ولا فساد النبيذ قد كفى حسرته إذا نزر والمصيبة فيه إذا حمض والفجيعة فيه إذا انكسر ثم يستقرض إذا أعسر ولا يرد ويسأل الحوائج فلا يمنع ويلقى أبدا بالإعظام ويكنى إذا نودى

---

[1] الجاحظ: ***القيان***, ***رسائل الجاحظ***, ج2, تحقيق: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجى, القاهرة, 1964م.ص177-178.

ويفدى إذا دعي ويحيا بطرائف الأخبار ويطلع على مكنون الأسرار ويتغاير الربطاء عليه ويتبادرون في بره ويشاحون في وده ويتفاخرون بإيثاره ولا نعلم هذه الصفة إلا للخلفاء ".

ويرى الباحث أن هذا الاعتبار الذي كان يتمتع به النخاس فى هذا العصر ليس في الحقيقة سوي اعتبار ظرفي, لأنه مرتبط بالحاجة إليه, ولأنه كان يمتلك ما يرغب فيه الناس من بضاعة مُغرية, وجواري حسناوات, ولذلك كانت علاقة النخاس بغيره في الغالب قائمة على النفاق, والمجاملة من أجل الحصول على المرغوب, وكذلك كانت مشوبة بالحسد لما كان يتمتع به من ثروة رغم ما كان يعرف عنه من عبث بالقيم والأخلاق.

ثانياً: النخاسون اليهود.

يعتبر النخاسون اليهود هم أشهر النخاسين الذين قاموا بعملية توريد الرقيق الأوروبي إلى البلاد الإسلامية , وقد كان هؤلاء التجار من الجلابين للرقيق الصقلبي, ومن الواضح أن هؤلاء التجار كان لهم نشاطاً ملحوظاً في تزويد المجتمع العباسي بما يحتاجه من مادة الرقيق, فقد كانوا عبارة عن مجموعات انتشرت في شتى المدن التجارية في أوروبا مثل مدينة جنوه ومرسيليا وآرلس وغيرها من مدن الغرب الأوربي المشهورة بالتجارة في ذلك الوقت [1].

وقد وجدت أيضا جاليات من التجار اليهود في مدن مقاطعة ساكسونيا الشرقية مثل مدينة " مجديبورج " و" مرزيبورج " , وكان نشاطهم مركزا على تجارة الرقيق وكان الرقيق المجلوب من أوروبا غالبا من منطقة الشرق الأوروبي[2].

1. مادتهم التجارية.

إن الصراعات والمناوشات والحروب بين الشعوب في أوروبا خلال ذلك العصر قد لعبت دورا كبيرا في ازدهار ونماء تجارة ونقل هذه البضاعة الإنسانية من أوروبا إلى الدولة العباسية, فبينما كانت الشعوب تتحارب كان النخاسون اليهود يحصلون على رقيق الحروب دون أن يجلبوا على أنفسهم الريبة , ويحرزون الأموال الطائلة من خلال توريد هذا الرقيق إلى شتى البلاد الإسلامية[3].

---

[1] ف. هايد: ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*** , ج1, ترجمة: احمد محمد رضا, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1985م, ص 142.

[2] ادم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري***, ج1, ص 103.

[3] ادم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري***, ج1, ص 103.

وقد مكنتهم هذه التجارة أن يكونوا على اتصال دائم بالدولة العباسية, ووسطاء في التجارة بينها وبين العالم الأوروبي, إذ كانوا يبيعون لهم الرقيق الذي يجلبونه معهم من أوروبا ويشترون من عندهم بضائع ومنسوجات يبيعونها لملوك القبائل الجرمانية, وقد ذكر ابن خرداذبة في كتاب "المسالك و الممالك" أن البضاعة التي كان هؤلاء اليهود يحملونها من الغرب الى الشرق تتمثل في الخصيان, والرقيق المذكر والمؤنث والفراء والسيوف والسمور والحرير وجلود الخز والديباج, أما ما يرجعون به من الشرق إلى الغرب فيتمثل في المسك والكافور والقرفة والصبر وغيرها[1].

وقد تمكن هؤلاء اليهود أن يتاجروا بعدد وفير من الرقيق, وأن يجلبوا إلى البلاد الإسلامية هذه البضاعة, متحدين بذلك تعاليم الكنيسة, ومستغلين العداء القائم بين الشرق والغرب آنذاك, وقد ذكر الأسقف أجو بارد, أسقف مدينة ليون أن التجار اليهود كانوا يسرقون أولاد النصارى الفرنسيين أو يحصلون عليهم عن طريق الشراء من آبائهم النصارى ليبيعوهم إلى مسلمي اسبانيا.

وقد اضطر القديس أد البرت أن يعتزل منصبه الأسقفي بمدينة براغ بسبب عجزه عن عتق جميع المسيحيين الذين اشتراهم تاجر رقيق يهودي[2], وفي هذا دليل على وفرت ما بأيديهم من هذه البضاعة, كما أنهم كانوا يشرفون على عمليات الخصاء للرقيق, وذلك من أجل بيعه بسعر مرتفع, وتحقيق أعلى الأرباح, فكانوا يحصلون على الرقيق بشرائه من براغ, ويرجعون به عن طريق نهر الرون ثم إلى ثغر بجانه بالأندلس حيث يقع الخصاء[3] أو بمركز فردان الذي كان يزودهم أيضا بالرقيق الخصيان .

2. دورهم الوسيط بين الشرق والغرب.

وتعتبر معرفة النخاسون اليهود بلغات الشعوب والأمم التي كانوا يمرون بها ويتعاملون معها كانت تلعب دورا كبيرا في تمهيد السبل التجارية لها, فقد مهر هؤلاء التجار اليهود في التحدث بالعديد من لغات الشعوب والأمم ومن هذه اللغات التي تحدثونها العربية والفارسية والروسية والإفرنجية والصقلبية والأندلسية[1], وقد كان من هؤلاء

---

[1] ابن خرداذبة, (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة) (ت:300 هـ/912م): ***المسالك والممالك***, مطبعة بريل, ليدن ,1881م , ص 153.

[2] آدم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الربع الهجري***, ج1, ص 301 – 302.

[3] خوان بيرنيط: ***هل هناك أصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية***, ترجمة: مختار العبادي, بحث منشور بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية, مدريد,1953م, ص 75.

[1] ابن خرداذبة: ***المسالك والممالك,*** ص 153.

اليهود مترجمون يعملون في خدمة بعض النصارى, وكان عملهم عبارة عن ترجمة المعاهدات التجارية المبرمة بين المسلمين والنصارى.

ومما سهل على هؤلاء التجار إجراء العديد من الصفقات التجارية على نطاق واسع, ومكنهم أن يكونوا مزودين حقيقيين للعالم الاسلامي بمادة الرقيق هو نشاطهم في عمليات الصرف وتغيير العملات وغيرها من العمليات البنكية المتنوعة خصوصا وأن هذه التجارة تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة و تحويلات نقدية دائمة ومما شجعهم على ذلك هو وجود غيرهم من أهل ملتهم في مختلف البلاد الأوروبية والإسلامية حيث مكنهم كل ذلك من الحصول على ما شاءوا من أموال للقيام بمعاملاتهم التجارية رغم وجود حدود وحواجز بين دار الاسلام ودار الحرب[2].

ومما يتضح لنا أن هؤلاء اليهود قد امتازوا بضمانات في نقل بضاعتهم من الغرب الأوروبي إلى الشرق الإسلامي والعكس, وذلك على غرار الضمانات التي حصل عليها التجار اليهود في عصور متأخرة وذلك من أجل سلامة اشخاصهم وحماية تجارتهم.

ومثال على ذلك ما نصت عليه المعاهدة المبرمة بين مملكة أراغون والبلاد التونسية التي كانت بنودها تتضمن الالتزام بالسهر على سلامة التجار اليهود وبضائعهم من قبل الطرفين المتعاقدين[3].

مثل هذه العوامل وغيرها ساعدت النخاسين اليهود على أن يكونوا وسطاء أقوياء بين بلاد الغرب الأوروبي و البلاد الإسلامية في ذلك العصر, فقد استطاعوا أن يجلبوا إلي البلاد الإسلامية ما يحتاجونه من مادة الرقيق وأن يحققوا الربح الوفير من خلال تنقلهم في شتى المدن والموانئ والمدن التابعة لبلاد الاسلام مشرقا ومغربا, فقد كان لهم دور وفنادق وأحياء يستقرون بها, ولم يقتصر دور هؤلاء النخاسين اليهود على توريد الرقيق للسوق الإسلامية فحسب, بل تعدي دورهم ذلك فقط استطاعوا الاتصال بالبلاط العباسي, وصاروا ويتعاملون مباشرة مع ذوي السلطان ويجلبون لهم ما يرغبون فيه من رقيق, وقد اضطر الخلفاء والأمراء العباسيون في بعض الأحيان إلى التعويل عليهم في بعض الخدمات الأخرى لقوة صلتهم بالبلاد الأوروبية, ولوجود مصارف لهم بالبلاد المسيحية

---

[2] نجاة باشا: ***التجارة في المغرب الإسلامي***, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, تونس, 1976 م, ص104 – 107.

[3] برنشفيك: ***دائرة المعارف الإسلامية***, ***مقال عبد***, ج1, ص 33 – 34.

فاعتمد عليهم في مهام تبادل الاسرى مع الروم وفداءهم خصوصاً أنهم كانوا عارفين بالتقييم المالي للبشر بحكم تجارتهم الخاصة بالرقيق[1].

ومن ذلك يتضح لنا أن بعض النخاسين اليهود استطاعوا توطيد العلاقات بينهم وبين رجال الدولة ومن ثم الملوك والامراء, مما اثار ذلك غضب النخاسين المسلمين حتى هجا بعضهم الملوك والأمراء لأنهم جعلوا قصورهم أسواقا للتجار اليهود, ومن أسباب هذه الغيرة أيضا أنهم كانوا أصحاب ثراء واسع, وهم في ذلك لا يقاسون بالنخاسين المسلمين, لان اليهود كما هو معلوم من المرابين سواء تعلق الربا بتجارة الرقيق, أو بغيرها من التجارات في حين كان الربا محرماً على المسلمين, وإذا علمنا أن هؤلاء اليهود كانوا يتعاملون مع نخاسيين مسلمين أدركنا كم كانوا يغنمون من هذا الوضع, وكيف فرضوا إدارتهم على الأسواق؛ وقد أعتمد هؤلاء التجار اعتمادا كبيرا على غيرهم من أهل ملتهم, فقد كان هؤلاء اليهود عبارة عن حلقات متصلة ببعض استطاعوا من خلالها ربط الدورة التجارية بين العالم الاسلامي والعالم المسيحي وهى مجموعات انتشرت بالمغرب والمشرق الإسلاميين, كما وجدت بأهم المدن التجارية في أوروبا.

3. الرحلات التجارية بين الشرق والغرب.

لقد كان لهؤلاء التجار نشاطا واسعا في رحلاتهم التجارية, إذ كانوا يجوبون معظم أنحاء العالم براً وبحراً بشتى أنواع التجارات وخاصة تجارة الرقيق التي كانت تجلب عليهم الربح الوفير, وقد اشتهر أمر هؤلاء النخاسين باعتبارهم وسطاء بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي , وقد كانت الغاية القصوى من هذه الرحلات والجولات هي بلاد الهند والصين.

وقد تحدث ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" عن هؤلاء النخاسين ووصف لنا تلك الطرق البحرية التي يسلكها هؤلاء النخاسون اليهود [1], فذكر أنهم كانوا يغادرون من بلاد الإفرنج عبر البحر ويصلون إلى " الفرما " بمصر ثم يخترقون السويس في خمسة أيام , ثم يعبرون بحر القلزم ويمرون من أمام ميناء " الجار " وهو ميناء المدينة ثم يمرون بميناء "جدة" وهو ميناء مكة, ثم يتوغلون بعد ذلك في المحيط الهندي متجهين نحو الصين , كما كان هؤلاء النخاسون يسلكون طرقا بحرية أخرى فكانوا يتصلون بالقارة الأسيوية عن طريق مصب نهر الأمازون فينزلون بسوريا ويذهبون إلى انطاكية وحلب فينزلون عن

---

[1] ادم متز : ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع***, ج1, ص301.

[1] ابن خرداذبة: ***المسالك والممالك***, ص153.

طريق الفرات إلى بغداد مستعملين في ذلك القناة الرابطة بين دجلة والفرات ومن هناك يدخلون إلى المحيط الهندي عن طريق دجلة والخليج الفارسي من أجل الوصول إلي نهر الهندوس ليمروا عن طريقه إلي الصين برا[2], ثم العودة من الطريق نفسها.

وقد لوحظ أن أكبر جزء من هذين الطريقين يقطعه هؤلاء اليهود بحراً, غير أن هناك طريقين آخرين يستخدمهما الكثيرون منهم وفيهما المسافات البرية أطول من المسافات في الطرق البجرية, أما عند رجوعهم من الشرق الإسلامي إلى الغرب فإنهم لا يرجعون جميعاً إلى فرنسا, وإنما يقف بعضهم ببضاعتهم في القسطنطينية, وقد كان لبعض هؤلاء التجار سفن تنقل بضاعتهم عبر الأنهار والبحار فكان أحد هؤلاء التجار يملك اسطولاً يقطع يجتاز المسافة من " نيس " إلى " مرسيليا " كما كانت لهؤلاء التجار سفن ترسو بموانئ أخرى كميناء " نربونة "[1].

أما عن الطرق البريه التي يقطعها هؤلاء النخاسون اليهود في سفرهم للعالم الاسلامي ومن بعده إلى الصين, فقد أشار ابن خرداذبة إلى هذه الطرق فذكر أنهم كانوا ينطلقون من فرنسا وإسبانيا و يخترقون المانيا والبلاد السلافية, ويصلون " أتل " عاصمة الخزر على مصب نهر الفولجا ثم يجتازون بحر الخرز ويقصدون" بلخ " بإقليم ما وراء النهر ثم يواصلون رحلتهم إلى الصين بواسطه بلاده " التغزغز "الواقعة بآسيا الوسطى[2].

كما كان لهؤلاء النخاسين اليهود طريقا برية أخري يسلكونها إلى الصين, وهي ذهابهم عن طريق مضيق جبل طارق بعد إلى شمال افريقيا, ثم سوريا والعراق ومقاطعات بلاد فارس الجنوبية وكرمان إلى أن يبلغوا الهند والصين[3].

وذكر ابن الفقيه ايضا تنقلات هؤلاء التجار الذين كانوا يمثلون حلقة الوصل بين العالم الاسلامي وبقية الأمم, وقدرتهم على التجول داخل الاقاليم الإسلامية, مستعينين في ذلك بالمجموعات اليهودية المنتشرة من اسبانيا الى الصين, لأنهم كانوا يحتاجون في رحلاتهم إلى معلومات جغرافية لم تكن متوفرة إلا في العالم الاسلامي وخصوصا في بغداد, ولا شك

---

[2] ابن الفقيه الهمذاني(أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه) (ت: ٣٦٥هـ/976م): ***كتاب البلدان*** , تحقيق: يوسف الهادي, عالم الكتب، بيروت, لبنان, ١٩٩٦م, ص 252.

[1] هايد: ***تاريخ التجارة في الشرق***,ج1, ص 141.

[2] ابن خرداذبة: ***المسالك والممالك***, ص153.

[3] هايد: ***تاريخ التجارة في الشرق***,ج1, ص142.

ايضا في أنهم قد استعانوا بمجموعات عديدة في الغرب, واستطاعوا أن يمارسوا تجارتهم في مدن تجارية كبري مثل دربونا ومارسيليا وجنوا ونابولي وغيرها[4].

مما سبق يتضح لنا أن النشاط التجاري لهؤلاء النخاسين اليهود قد لعب دورا كبيرا في تزويد العالم الإسلامي بما يحتاجه من مادة الرقيق خصوصاً الرقيق الأبيض بجنسيه وكذلك الخصيان, وقد اعتمد عليهم المسلمون اعتمادا كاملاً فى توريد الرقيق الأوروبي, نظراً لمعرفتهم بلغات عدة, ونشاطهم فى عمليات الصرف.

الخاتمة

بتوفيق من الله عز وجل انتهت الدراسة **النخاسون اليهود في العصر العباسي الأول (132 – 232 هـ / 750 – 847 م).**

وخلصت الدراسة واثبتت عدة نتائج منها:

- ❖مهنة النخاسة من أصعب المهن, فمن أراد امتهان النخاسة فإنه يحتاج إلى معرفة كاملة بأسرار هذه المهنة، وإلي كثير من التجارب في ممارستها، بل وربما إلي اختصاص في العديد من العلوم والمعارف التي تجعله يصلح لامتهان النخاسة.
- ❖كان النخاس دائماً في محل انتقاد من قبل المجتمع العباسي من حيث السلوك, وربما في محل احتقار من أجل تهافته على الربح الوفير متوخي في ذلك انتهاك القيم والأخلاق.
- ❖يعتبر النخاسون اليهود هم أشهر النخاسين الذين قاموا بعملية توريد الرقيق الأوروبي إلى البلاد الإسلامية , وقد كان هؤلاء التجار من الجلابين للرقيق الصقلبي, ومن الواضح أن هؤلاء التجار كان لهم نشاطاً ملحوظاً في تزويد المجتمع العباسي بما يحتاجه من مادة الرقيق.
- ❖استطاع النخاسون اليهود أن يكونوا على اتصال دائم بالدولة العباسية, ووسطاء في التجارة بينها وبين العالم الأوروبي, إذ كانوا يبيعون لهم الرقيق الذي يجلبونه معهم من أوروبا ويشترون من عندهم بضائع يبيعونها للقبائل الجرمانية.
- ❖مما سهل على هؤلاء التجار إجراء العديد من الصفقات التجارية على نطاق واسع, ومكنهم أن يكونوا مزودين حقيقيين للعالم الاسلامي بمادة الرقيق هو نشاطهم في عمليات الصرف وتغيير العملات, وتعلمهم لمعظم لغات العالم فى ذلك العصر.

---

[4] ابن الفقيه: ***مختصر كتاب البلدان***, ص 252.

المصادر والمراجع

أ.ابن الأخوة (محمد بن محمد بن احمد القرشي) (ت:729هـ/1329م): ***معالم القربة في أحكام الحسبة***، تحقيق: محمد محمود شعبان ، صديق احمد عيسي ، الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة , 1967م.

ب. ابن بسام المحتسب (محمد بن احمد بن بسام المحتسب) (ت: 626هـ/ 1229م): ***نهاية الرتبة في طلب الحسبة***، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1968م.

ت. البكري(ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بكري) (ت:487هـ/ 1094م .): ***المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب***، مكتبة المثنى ، بغداد، 1968م.

ث. الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) (ت: 255هـ /869 م): ***مناقب الترك***، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ،ج1، مكتبة الخانجى ، القاهرة، 1964م.

ج. ــــــــــــ: ***القيان***, ***رسائل الجاحظ***, ج2, تحقيق: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجى, القاهرة, 1964م.

ح. ابن خرداذبة, (أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة) (ت:300 هـ/912م): ***المسالك والممالك***, مطبعة بريل, ليدن ,1881م.

خ. السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد السقطي المالقي الأندلسي)(ت: 550هـ/1155م): ***آداب الحسبة***, تحقيق: ليفي بروفنسال , كولان, مطبعة إرنست لورو, باريس, 1931م.

د. الشيزري (عبد الرحمن بن نصر الشيرزى) (ت: 590هـ/ 1194م): ***نهاية الرتبة فى طلب الحسبة***, مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, 1946م.

ذ. ابن الفقيه الهمذاني(أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه) (ت: ٣٦٥هـ/976م): ***كتاب البلدان*** , تحقيق: يوسف الهادي, عالم الكتب، بيروت, لبنان, ١٩٩٦م.

ر. ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة) (ت: 711هـ/ 1311م): ***لسان العرب***, تحقيق: عبد الله بن الكبير, محمد أحمد حسن, دار المعارف, القاهرة, 2007م.

ز. آدم متز: ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري*** , ج1, ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده , دار الكتاب العربي , بيروت , لبنان , ط 2, 1947م.

س. برنشفيك: ***دائرة المعارف الإسلامية***, ***مقال عبد***, ج23, مركز الشارقة للإبداع الفكري, الشارقة، , 1998م.

ش. توفيق بن عامر: ***الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة***, ج1, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, تونس, 1996م.

ص. خوان بيرنيط: ***هل هناك أصل عربي اسباني لفن الخرائط البحرية***, ترجمة: مختار العبادي, بحث منشور بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية, مدريد,1953م.

ض. ف. هايد: ***تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*** , ج1, ترجمة: احمد محمد رضا, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, 1985م.

ط. نجاة باشا: ***التجارة في المغرب الإسلامي***, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, تونس, 1976م.